سلسلة شرط البخاري ومسلم

لفضيلة الشيخ: أبي إسحق الحويني

المحاضرة الثالثة

أن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتهما، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

سنذكر في درس اليوم إن شاء الله حديثاً رواه الشيخان في صحيحيهما، وقد طعن فيه بعض أهل العلم المشهورين بذلك وإن لم يكن من أهل الحديث، ولكن التجويزات العقلية التي ذكرها والتنظيرات العلمية التي ..... هذه كلها متكأ ومعتمد لكثير ممن جاء بعده، هذا العالم هو فخر الدين الرازي، والفخر الرازي كان- كما يقول الذهبي- يتوقد ذكاء، وهو أحد أذكياء العالم، وبكل أسف، مع هذا الذكاء وهذا التوقد فقد تنكب سبيل الحق فيما يتصل باعتقاده، فكان من أواخر أو من أهم المحررين للمذهب الأشعري هو وأبو

حامد الغزالي صاحب كتاب (إحياء علوم الدين). وهو الذي عناه شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد في الكتاب النافع الكبير الذي لم ينسج أحد على منواله قطّ، ألا وهو (درء تعارض العقل والنقل) فإنه رد على الفخر الرازي في هذا الكتاب رداً بليغاً وأتى على بنيانه من القواعد. والذهبي رحمه الله لمّا ذكر الفخر الرازي في كتاب (سير أعلام النبلاء) وطبعاً ترجم له ترجمة يسيرة في كتاب السير وطول ترجمته في كتاب (تاريخ الإسلام). فكان مما قاله الذهبي رحمه الله، قال: (كان يتوقد ذكاء، وقد بدتْ منه في تواليفه- أي في تآليفه أو الكتب التي صنفها- بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة والظن أنه توفي على طريقة حسنة، والله يتولى السرائر).

يوصي تلميذا اسمه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني فقال له من ضمن هذه الوصية: (إني تأملت في الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ولم أجد أفضل من طريقة القرآن، ففي الإثبات يقول {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ويقول عز وجل {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} وفي النفي يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ} ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

فهو ندم في آخر حياته على عمره الذي ضاع، وأنفقه في الشقشقات النظرية والأصول الفاسدةالتي وضعوها ليردوا بها السنة، فإن أهل البدعة لهم أصول ألّفوها وتواطئوا عليها ليردوا بها السنن الصحيحة، وكان الفخر الرازي هو أحد أعمدة هذا المذهب الفاسد الكاسد والذي نرجو أن يكون تاب عنه توبة نصوحاً قبل أن يلقى ربّه عزّ وجلّ.

الفخر الرازي كان بارعا في الأصليين: كان بارعاً في أصول الفقه وله كتاب (المحصود في أصول الفقه) وكان أيضاً بارعاً في الكلام في العقائد على طريقته وفي التفسير، ولكنه كان مزجى البضاعة تماماً في الحديث، لا يعرف قليلا ولا كثيرا في علم الحديث ولا في إثبات الروايات ولا في اختلاف الرواة ولا في معرفة الصواب من الخطأ في الروايات. لذلك فهو إذا تكلم في الحديث ركب الظلماء وخبط خبط عشواء.

وكان من جملة ما خبط فيه ما نتكلّم عنه الآن، وأنا أعترف أن الكلام في الحديث واختلافات الرواة والكلام على المتون كلام صعب، ولكن لابد من ركوب الصعب إذا أردنا أن نتكلّم على طريقة أهل التخصص.

فأنا أرجو من إخواننا إذا جلسوا ليسمعوني في هذه الأبحاث أن يسمعوني بقلب واعٍ تماماً، فإنه إن فعل ذلك فلن يخرج إلا مستفيداً إن شاء الله تعالى.

الفخر الرازي ذكر هذا الكلام الذي أذكره في موضعين من تفسيره، الموضع الأول في سورة يوسف، وذكره في موضع آخر من تفسيره.

يقول الفخر الرازي- وسآتي على عباراته- في أواخر المسألة الأولى في تفسير الآية رقم (24) {كذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ} من سورة يوسف في آخر المسألة الأولى يقول: "واعلم أن بعض الحشوية" (الحشوية كلمة نبذ واحتقار يطلقونها على أهل الحديث والحنابلة والمقصود بالحشوية العامة والدهماء) يعني حين تجد أن الكرسي الذي تجلس عليه قماشه 10/10 ونقشه ممتاز وتجلس عليه مرتاحاً، يا ترى على أي شيء تجلس؟ تجلس على قشّ وريش وحشيش وتبن، فالحشو داخل الكرسي هو أرخص ما في الكرسي، أرخص من الخشب وأرخص من الكسوة وأرخص من الدهان، فالحشوية كحشو هذا الكرسي، فهم عالم الجهلة الأغبياء الذين لا يفهمون. وقد درج أهل البدع على رمي أهل الحديث ورمي الحنابلة بهذا الوصف؛ فالفخر الرازي حين يقول: قال أو روى بعض الحشوية يقصد عالم الغجر من وجهة نظره والذين هم أهل الحديث.

وسنعلم بعد قليل حين نتكلم عن الرواة، هل في هؤلاء حشو أم لا؟ وأقل واحد فيهم يزن ملء الأرض من مثل الفخر الرازي الذي نبزهم بهذا اللقب الشنيع.

يقول: "واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما كذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات) فقلت له: الأولى ألا نقبل مثل هذه الأخبار. فقال على طريق الاستنكار- أي أن محدثه أنكر عليه أنه يرد هذا الخبر- فقال له: فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة. فقلت له: يا مسكين! إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم عليه السلام وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولاشك أن صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب".

فهو هكذا نصب التعارض بين الراوي وبين إبراهيم عليه السلام، فقال إذا كان لابد من تكذيب واحد منهما، فتكذيب الراوي أولى من تكذيب إبراهيم الحنيف، لأن إبراهيم الحنيف زكاه ربه، الذي لا تردّ تزكيته، والذي إن عدّل رجلا فهو العدل، ولو جرح رجلا فلو قام أهل الأرض في صعيد واحد لما استطاعوا أن يعدلوه، {وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} إذا كانت المسألة كما فعل الفخر الرازي فنحن مع الفخر الرازي بحيث أن المسألة كذلك، لكن علم الفخر الرازي بالسنة هو كعلم غيره من الأصوليين بالسنة الذي لا يتجاوز التنظير العقلي فقط، ووضع قواعد عقلية نظرية، يعني أصول الفقه فيها باب كامل هو أحد الأدلة المتفق عليها هي السنة، فأنتم تعرفون أن الأدلة المتفق عليها عن الأصوليين في الكتاب والسنة والإجماع والقياس وخالف الظاهرية في القياس، بعد هذا توجد عدة أدلة مختلف فيها، العلماء مختلفون في حجية هذه الأدلة، عمل الصحابة والاستحسان وسد الذرائع وشرع من قبلنا وغيرها. لكن الأربعة المتفق عليها هي الأربعة السالفة الذكر، فعندما يأتي الأصوليون على بحث السنة، ينظرون [في] الكلام على الرواة ورواياتهم تحتمل الظن أو القطع. وماذا نفعل إذا اختلف الرواة وغير ذلك، لكن لا يعرف كيف يثبت رواية راو أبداً ولا يعرف هذا الراوي ثقة أم لا إلا عن طريق أهل الحديث، فهو على طريقته العقلية التي درج عليها طيلة عمره يرد السنن بالعقل كما درج عليه كثيرون وأستاذهم هو الفخر الرازي وأمثاله، يأخذون مثل هذا الكلام ويردون الأحاديث الصحيحة به. فيقول: شيء من اثنين: إما أن الراوي كذاب أو إبراهيم عليه السلام، فمن نكذّب منهما؟ أنا لو لم أتجاوز هذا الكلام إذن أكذب الراوي، إذا كان في المقابل هو تكذيبي لإبراهيم عليه السلام، لكن هذا الخبر يرد هكذا أم يمكن تأويله؟ يمكن تأويله.. إذا أمكن تأويله فلا معنى مطلقا لتخطئة الثقة العدل الذي أجمعت الأمة على ثقته وعلى عدالته.

الموضع الثاني- الذي ذكر فيه الفخر الرازي هذا الكلام- قال: قلت لبعضهم: هذا الحديث لا ينبغي أن يُقبل لأن نسبة الكذب إلى إبراهيم لا تجوز، فقال: فكيف تحكم بكذب الرواة العدول؟

قلت: لما وقع التعارض بين نسبة الكذب إلى الراوي، وبين نسبته إلى الخليل عليه السلام، كان من المعلوم ضرورة "أن نسبته إلى الراوي أولى"- نفس الكلام السابق.

ونحن لأجل ردّ هذا الخطل الذي لا معنى له، سنسلك في ذلك طريقة أهل العلم في الحديث، الذين هم أهل التخصص، وهم أولى الناس أن يتكلموا في هذا الباب، فانظر إلى الطريقة التي سنسلكها وحاولت تبسيطها على قدر ما أستطيع ثم قارن هل يستطيع واحد من هؤلاء الذين يتكلمون الآن على طريقة الفخر الرازي أن يفهم هذه البحوث فضلا عن أن يفعلها بنفسه؟ أم لا؟

اعلم أن هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم، والعلماء يقولون: أعلى درجات الصحيح هو ما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم. لأن كتاب البخاري ومسلم لا يخلو من ثلاثة أمور: إما أن يتفق الشيخان على إخراج الحديث، أو ينفرد البخاري عن مسلم، أو ينفرد مسلم عن البخاري.

هذه ثلاث درجات من درجات الحديث. فقال العلماء: ما اتفق عليه البخاري ومسلم فهذه الدرجة الأولى، ثم ما انفرد به البخاري هذه الدرجة الثانية، ثم ما انفرد به مسلم فهو الدرجة الثالثة، هذا الكلام كلام إجمالي قد يدخله خلل، فربّ حديثٍ قد تفرّد به مسلم أقوى من حديث تفرد به البخاري، لكن هذا الكلام [السابق عن الدرجات] كلام أغلبيّ، وإنما قدّموا البخاري على مسلم لأن البخاري أمتن من مسلم وأستاذ مسلم وشرطه أضيق من مسلم- كما قد قلنا قبلا- فأعلى شيء البخاري ومسلم إذا اتفقا على الحديث. هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم وانفرد البخاري ببعض وانفرد مسلم ببعض.

هذا الحديث من صحابه في الصحيحين؟ أبو هريرة رضي الله عنه، وقد رواه عن أبي هريرة اثنان: الأعرج (عبد الرحمن بن هرمز) ومحمد بن سيرين. أما رواية الأعرج فانفرد بها البخاري، وقد روى البخاري رواية الأعرج هذه بسند واحد في ثلاثة مواضع من صحيحه، فهو رواه في خمسة مواضع: كتاب البيوع- كتاب الهبة- كتاب الإكراه- كتاب النكاح- أحاديث الأنبياء. فروى هذا الحديث (حديث الأعرج) في كتاب البيوع وفي كتاب الهبة وفي كتاب الإكراه بسند واحد قال: حدثنا أبو اليمان (الحكم بن نافع) قال أخبرنا شعيب ابن أبي حمزة قال: حدثنا أبو الزناد (عبد الله بن

ذكوان) عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك) وفي طريق آخر للبخاري (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات قوله إني سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لسارة أنت أختي، ثنتان منهما في ذات الله- يعني إني سقيم، وفعله كبيرهم هذا، أما سارة- حين قال لها أنت أختي فهذه وإن كانت لله عزّ وجلّ- فإنه أراد صون عرضه- لكن كان له حظ فيها أن يذبّ عن عرضه فلا ينتهكه أحد، مع كونها لله، لكن قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا، لله محضاً ليس لإبراهيم عليه السلام فيها حظ أبداً، إنما قوله في سارة له فيها حظ نفس أن يصون عرضه، فلما هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة، فقيل دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء، في حديث ثابت بن أسلم البناني عن أنس في صحيح مسلم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسري به، قال: فلقيت يوسف وقد أوتي شطر الحسن، فروى أبو يعلى بسند مسلم في هذا الحديث فأوتي وأمه شطر الحسن، مَن أم يوسف؟ سارة طبعاً، ليس شرطاً أن نقول أمه التي ولدته، وإنما بنو إسرائيل كلهم أولاد سارة أليس كذلك؟ والعرب أولاد إسماعيل، لأن سارة ولدتْ إسحق ومن بعد إسحق يعقوب وهم أصل بني إسرائيل، وهاجر ولدتْ إسماعيل وهو أصل العرب. فأوتي يوسف عليه السلام وأمه سارة شطر الحسن، فهذا يدل على أنها غاية في الجمال، وهذا معنى (دخل إبراهيم بامرأة من أحسن النساء) أي شكلا (فأرسل إليه أن يا إبراهيم مَن هذه التي معك؟) ذكر في بعض الروايات أن هذا الذي نمّ على إبراهيم رجل كان إبراهيم يشتري منه الدقيق فأراد أن يتقرب إلى هذا الملك الجبار، فنمّ على إبراهيم وفتن، وذكر لهذا الملك أن معه امرأة هي من أجمل النساء، فقال: مَن هذه يا إبراهيم؟ قال: أختي. ثم رجع إليها فقال: لا تُكذّبي حديثي؛ فإني أخبرتهم أنك أختي، والله إنْ على الأرض مؤمن غيري- إن هنا بمعنى ما النافية أي ما على الأرض مؤمن غيري- وغيرك.

فإذن كيف تكون أخته؟ إنما المؤمنون أخوه. فيقول قائل: كيف تكون الرواية هكذا ونحن نعلم يقينا أن ابن أخ إبراهيم، لوط عليه السلام كان مؤمناً إذ ذاك؟ قال تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوْطٌ} فكيف يقول لها ما على الأرض مؤمن غيري وغيرك، وهناك لوط؟

فالمقصود بالأرض هي الأرض التي هو واقف عليها. ذكر ابن إسحق وتبعه السهيلي أن هذه الأرض هي مصر، فكأنما قال: ليس على الأرض- أي أرض مصر التي دخل عليها- مؤمن غيري وغيرك، ولم يقصد الأرض البسيطة العامرة.

وذكروا أيضاً أنه كان من مذهب هذا الملك أنه لا يبتغي الأخوات وإنما يبتغي الزوجات والأمهات، أما الأخوات فلا، هذا قانونه يعني، فلذلك قال لها إبراهيم عليه السلام: أنت أختي. وفي رواية جرير بن حازم عن أيوب السختياني عن ابن سيرين عن أبي هريرة عند مسلم قال: إنْ يعلم أنك امرأتي غلبني عليك. أي يأمرني أن أطلقك ويأخذك، لكن الأخت كان يتجاوز عنها. لكن طبعا الذي يضع قانوناً [فإنه] يخالفه إذا أراد، أو يقوم بعمل مذكرة تفسيرية يقول إن هذا اللفظ المجمل كنت أقصد به كذا وكذا، ولذلك تجد المحامي اليوم لكل كلمة عنده لها ستمائة تفسير، فيقدم ويؤخر، فتجد حقوق الناس ضائعة، هناك شكايات في المحاكم لها 17-25 سنة وحتى الآن لم يصدر فيها القضاء، ولو ردّوه إلى الله وإلى الرسول لحلّتْ المشاكل كلها.

فهو وجدها جميلة جدا فقال [في نفسه] نخالف القانون هذه المرة، فأرسل بها إليه وطلبها، فقام إليها فقامت تتوضأ وتصلي، في رواية جرير بن حازم عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند مسلم قال: فأرسل إليها فقام إبراهيم إلى الصلاة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، فإذا وقعتَ وفي ورطة تصلي لأنه لا ينجيك من هذه الورطة إلا الله، وحبلك الموصول بالله هو الصلاة.

فقام إبراهيم يصلي، فلما ذهبت سارة إلى هناك وعلمت أنه سيقترب منها توضأت وقامت تصلي، فقالت: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت

فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر. فغُطَّ حتى ركض برجله. (غُطَّ) يعني دخل في نوم عميق وأخذ يشخر، وكأن شخيره صوت خروج الروح، فخافت سارة أن يموت، فتلبس تهمة قتله، قال الأعرج قال أبو سلمة بن عبد الرحمن إن أبا هريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلته. فأرْسَله، فعادت روحه. فأول ما انتبه اقترب منها ثانية، فقالت: اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فرد عني هذا الكافر، فغُطّ غُطّة أخرى. في رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أنه لما مدّ يده إليها لم يتمالك نفسه أول ما رآها فقبضت يده. إذن قبضت يده ثم أغمي عليه بعد ذلك. فلا تعارض بين الروايتين، مدّ يده حتى حصل له ما يشبه الشلل وألم كأنما يده تتقطع، فمن شدة الألم أغمي عليه. أليس بين الناس من يتألم ألماً شديداً فيغشى عليه؟ وهذا ما حدث له.

فعل ذلك ثلاث مرات وهي تدعو عليه فيغمى عليه فتقول اللهم إن يمت يقال قتلته فيرسله الله تبارك وتعالى، فلما أفاق في المرة الثالثة (في رواية ابن سيرين) قال: إن دعوتِ الله أن يردّ عافيتي لا أقربك، فدعت الله بذلك، لأن القبضة الثالثة كادت تقطعه فلم يحتملها، فلما دعت ورجعت له العافية قال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطانا، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر. فرجعت إلى إبراهيم وقالت: أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة؟ (أي أعطاها امرأة تخدمها وهي هاجر عليها السلام) وهذا الحديث بهذا اللفظ هو اللفظ الذي ذكره البخاري في كتاب البيوع وقد رواه- كما قلت- بنفس هذا الإسناد عن أبي اليمان عن سعيد بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كتاب الهبة وفي كتاب الإكراه ولكن بلفظ مختصر عن هذا اللفظ. فهذا طريق الأعرج. أما طريق محمد بن سيرين فقد رواه عن ابن سيرين ثلاثة، الأول/ أيوب السختياني. الثاني/ هشام بن حسان، الثالث/ عبد الله بن عون. أما رواية أيوب السختياني فقد اختُلف على أيوب في الحديث وقفا ورفعاً، فرواه البخاري في موضعين من صحيحه، عن سليمان بن حرب (وهو شيخ البخاري وكذلك البيهقي أخرجه في السنن من طريق آخر عن سليمان) قال

حدثنا: حماد بن زيد عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات. فهذا الحديث موقوف، فما معنى موقوف؟ أي الذي قاله هو الصحابي وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فما اسمه؟ مرفوع. فهذا الكلام صار من كلام أبي هريرة وليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلنا، رواية محمد بن سيرين رواها عنه كم واحد؟ ثلاثة: أيوب الذي نتكلم فيه الآن. ولنكن مع أيوب، ورواية أيوب هذه (وحدها) اختلف فيها الرواة وقفا ورفعا، فرواه حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة (وقفاً) وهذه الرواية انفرد بها البخاري، ورواه جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكذب إبراهيم.. الحديث. فهذا مرفوع أم موقوف؟ مرفوع. فمَن اختلف مع مَن؟ إذن جرير بن حازم اختلف مع حماد بن زيد على أيوب السختياني، فحماد رواه عن أيوب فوقفه، وجرير بن حازم رواه عن أيوب فرفعه، فمَن الأصحّ فيهما؟

كيف ترد؟ فقد أقول لك: إن أبا هريرة كان يأخذ عن أهل الكتاب فما المانع أن يكون قد أخذ هذه القصة من أهل الكتاب؟ والذي له حكم الرفع يشترط ألا يكون للرأي فيه مدخل، يكون غيبا محضاً، كالكلام عن الجنة عن النار عن الملائكة..

أما حماد بن زيد فهذا من أثبت الناس في أيوب، وجرير بن حازم اختلط قبل موته بسنة، لكن قصة اختلاطه لها تتمة حتى لا يظلمه أحد، طبعا طريق حماد بن زيد (الموقوف) انفرد به البخاري، وحديث جرير بن حازم اتفق الشيخان عليه، فالمفترض حسب الكلام الذي قلناه في البداية أن المتفق عليه أقوى مما انفرد به أحدهما، فالمفترض أن طريق جرير بن حازم أقوى من طريق حماد بن زيد عن أيوب، فكيف وأنت تقول حماد بن زيد أثبت الناس في أيوب؟ وجرير بن حازم وإن كان رجلا محترما وثقة، لكن اختلط قبل موته بسنة، فما الذي يجعلك لا تحتمل أن يكون جرير بن حازم حدّث بهذا في الاختلاط؟ كلام معقول، أليس

كذلك؟ فمن الذي روى عن جرير بن حازم هذا الحديث حتى نعرف أسمع من جرير بعد الاختلاط أم قبل الاختلاط؟ الذي روى هذا الحديث عن جرير بن حازم هو عبد الله بن وهب- الإمام المصري- ونحن لا نعرف إذا كان عبد الله بن وهب روى عنه قبل أم بعد الاختلاط. إذن القاعدة هنا إذا لم نعلم- من خلال الراوي عن المختلط- أسمع منه قبل الاختلاط أم بعده ماذا نفعل في روايته؟ تتوقف، هذا التوقف يعني ردّ الرواية أم قبولها؟ أقرب إلى الردّ، إذن رددتها، فهذه مشكلة أيضا، فكأنك تقول إن في الصحيحين أحاديث ضعيفة، وهذه أيضاً ورطة، إذن ماذا نقول؟

قراءة تراجم الرواة مسألة في غاية الأهمية، وسوف نحاول إحضار ترجمة الراوي من كل الكتب التي نستطيع الحصول عليها، أي معلومة زيادة ممكن أن تفكّ لك إشكالاً. وما يفكّ لك الإشكال [ها هنا] من أساسه قول عبد الرحمن بن مهدي، قال: اختلط جرير بن حازم (أبو حاتم الرازي قال: قبل موته بسنة) وكان أبناؤه أصحاب حديث (أي كانوا محدثين) فلما رأوا اختلاطه حجبوه عن الناس فلم يُحدّث قط بالاختلاط. إذن كل الروايات الموجودة لجرير بن حازم صحيحة، لأن أولاده كانوا محدثين ويعرفون أنه حين اختلط فإن روايته ستضيع، فكي يحفظوا ثروة والدهم حجبوه ومنعوا المحدثين من الدخول عليه، فجرير بن حازم حدّث بهذا الحديث في حال تيقظه.

هكذا أيضاً لم نحل الإشكال. أيهما مرجح؟ الرواية المرفوعة، أم الموقوفة؟ طبعاً هذا الكلام الذي أقوله لا يفهمه مصطفى محمود ولا نوال السعداوي ولا أمثال هؤلاء، فهو حتى يعمل يجب أن يدخل في هذه المداخل، وسوف أحاول تبسيط هذا الكلام حتى يُفهم.

حماد بن زيد من أثبت الناس عن أيوب، وجرير بن حازم ثقة كبير، ولم يحدّث في الاختلاط إذن نحن بادي الرأي نقول الأثبت في أيوب يُقدّم، هما الاثنان ثقة ولكن حماد بن زيد له مزية لن نضيعها عليه.

فإذن الرفع والوقف هذا من أين جاء؟ من محمد بن سيرين؛ لأنه كان مشهوراً معروفاً بذلك، فيكون الحديث عنده موقوف ومرفوع، فمرة يتورع ويتهيب أن يرفع للنبي فيوقفه على الصحابة، وهذه طريقة

مشهورة لابن سيرين، إذن فالحديث مرفوع عند ابن سيرين يقيناً، لكن ابن سيرين كان يتهيب الرفع أحياناً، حماد بن زيد لا تعارض روايته رواية جرير، ما الذي يدلنا على أن رواية ابن سيرين مرفوعة؟ رواية هشام بن حسان وهشام بن حسان أثبت الناس في ابن سيرين على الإطلاق فقد روى هشام بن حسان- كما عن ابن داود والنسائي وأبي يعلى وابن حبان- روى هشام بن حسان هذه الرواية عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى لله عليه وسلم، وطبعاً هشام بن حسان- كما قلنا- أثبت الناس في ابن سيرين، فهذا يدل دلالة قاطعة على ابن سيرين كان يرفع الحديث وكان الحديث عنده مرفوعاً لكنه يتهيب الرفع أحياناً فيوقفه. فهذا الحديث رواية هشام بن حسان وحدها فيها إشكال، هذا الإشكال أنه في مسند أبي يعلى أتى المتنُ هكذا: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلهن في الله) فأين الإشكال؟ (كلهن في الله) كل الروايات اتفقت على أنها ثنتان في الله وواحدة (قال إنها أختي) لم تكن لله محضاً، فلما قال: كلهن لله، يجب أن نعرف من زاد هذه الزيادة؟ يجب أن نقوم ببحث مستقل عن رواية هشام وحدها.

وهكذا تجد أن العملية تتفرع، فكما عملنا بحثا في رواية أيوب السختياني وحده، سنقوم بعمل بحث في رواية هشام بن حسان لنرى أي الروايتين أقوى: ثنتان في الله أو الثلاث في الله، ننظر إذن في الأسانيد وفي الرواية، ونحقق أي اللفظين أصحّ، (ثنتان في الله) (كلهن في الله) وفي هذا البحث حتى تعرفوا الجهد الذي بذله علماء الحديث في تحرير ألفاظ الحديث، وأن المسألة ليستْ بالمزاج، بل هذا تحته علم دقيق جداً لم تعرف البشرية له نظيراً لأي أمة من الأمم إلا عند المسلمين فقط. (فعلم الحديث) (والنظر في رواية الرواة) وبناء على الكلام في الرواة نعرف الألفاظ، صحيح- منكر- شاذ- خطأ- صواب.. الخ.

واليوم سنقوم ببحث إسنادي عن رواية هشام بن حسان وحدها حتى نعرف أي اللفظين أثبت حتى نعزوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. الرواية التي وقع فيها هذا اللفظ (كلهن في الله) هذه وقعت عن أبي يعلى، قال أبو يعلى في مسنده: حدثنا مسلم

بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلهن في الله) فمن روى هذا اللفظ عن هشام بن حسان؟ مخلد بن الحسين هو الذي روى عن هشام بن حسان (كلهن في الله) وهذه الرواية من مسند أبي يعلى الموصلي، فلما نظرنا في لرواة عن هشام فوجدنا أبا داود السجستاني صاحب السنن روى في سننه هذا الحديث عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، والنسائي روى في سننه الكبرى هذا الحديث عن أبي أسامة حماد بن أسامة، وابن حِبان روى هذا الحديث في صحيحه عن النضر بن شميل، ثلاثتهم (عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي- وأبو أسامة حماد بن أسامة- والنضر بن شميل) هؤلاء رووا هذا الحديث عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتان منهما في ذات الله) فماذا نفعل كي نفصل بينهم؟ ننظر في تراجم هؤلاء الأربعة، ترى هل مخلد بن الحسين الذي تفرّد بقوله (كلهن في الله) كان رجلاً ضعيفاً؟ أم كان ثقة؟ ننظر في ترجمة مخلد بن الحسين نجده كان ثقة فاضلاً أثنوا على عقله فقال العجلي وغيره: كان من أعقل الناس. هذا أولاً، ثانياً: كان هشام بن حسان زوج أمه، إذن ربيبه، إذن لصيق به، وممكن أن يكون عنه من الروايات ما ليس عند الآخرين. لو كنتَ محدّثاً وابنك لصيق بك ليل نهار، فممكن أن يكون عنده من الروايات التي تخصّه أنت بها إما عمداً أو عن غير عمد، أليس من الممكن أن يكون عنده من الروايات ما ليس عند خلق الله جميعاً؟ يعني عبد الله بن عمر مثلا، [إذا فاضلتَ بين] سالم بن عبد الله ونافع عن ابن عمر حين يختلفان، فمن تقدّم؟ نقدّم سالماً مع أن نافعاً كان ملازماً لابن عمر أيضاً، لكن ليس لصيقاً به كسالم، المولى لا يعرف أن يدخل في مداخل الابن، فالمولى لا يدخل على امرأة عبد الله بن عمرن لكن سالماً يدخل على أمه، فمن الممكن أن تكون هناك خلافات خاصة مثلاً.. فسالم أميز من نافع.

فإذا كان هشام بن حسان زوج أمه حتى إن هارون الرشيد قال لمخلد بن الحسين: ما هشام بن حسان منك؟ قال: هذا والد أخوتي. أي من الأم، فإذا كان مخلد بن الحسين ثقة ويضرب بعقله المثل، وهو ربيب هشام بن حسان الذي كان زوج أمه، إذن من الممكن أن يكون له خصوصية مع ثقته أم لا؟ أتمشي الرواية بهذا النظام أم لا؟ تمشي..

فمثلاً يقول بعض إخواننا إذن رواية مخلد شاذة. نعم، هذا الضابط العام، فالضابط العام أن ثلاث مقابل واحد (الأولى ربح الثلاثة على الواحد) لكن من الممكن أن نحقق حتى نجعل الواحد يغلب الثلاثة بهذه الطريقة التي نتكلم بها الآن.

الثلاثة الذين هم في مقابل مخلد بن الحسين (عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ثقة- حماد بن أسامة ثقة- النضر بن شميل كبير المحل ثقة متفق عليه) فإذن ثلاثة من الضخام أمام ضخم أيضاً، فنحن في هذه الحالة من الممكن أن نقول: تمشي الروايتان، ولا تعارض بينهما. (ثنتان) التي اتفقت عليها الروايات (إني سقيم، بل فعله كبيرهم) تبقى الخصلة الأخيرة المختلف فيها: (إنها أختي) أهي في الله؟ نعم هي في الله وإن كان له فيها حظ. لكن اسمه إبراهيم الخليل، ولا يسمى خليلا إلا إذا تخللت محبة المحبوب مسامّ قلبه حتى غلبت عليه، فهو وإن كان له حظّ نفسه في الدرء عن عرضه، إلا أن ما لله عز وجل في قلبه أعلى وأقوى وأكثر مما له عند نفسه، فكأن رواية مخلد بن الحسين هذه في الصفة الثالثة أتت على سبيل التغليب، والشيء إذا غلب حكم له؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كما قال جابر بن سمرة: (ما رأيت أجمل منه وكان يلبس حلة حمراء) مع نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس الأحمر، فكيف يلبس حلة حمراء وهو نهى عن لبس الأحمر؟ قال: لا بل أغلبها أحمر، فهو إنما قال حمراء تغليباً. فإذا أردنا رؤية ما لله في قلب إبراهيم عليه السلام وما له من حظ نفسه في قلبه، ستجد أن الذي لله أعلى من الذي لإبراهيم عليه السلام، وبهذا الاعتبار، ومن باب التغليب، ممكن أن نقول: كلهن في الله.

إلى الآن هذا الكلام جميل لا يمكن لأحد أن يرده، لكن رواية مخلد بن الحسين شاذة، فترى بعد كل هذا الجهد على التسليم بصحة الرواية، سنقول بعد ذلك لماذا شاذة- على افتراض أنها ليست بشاذة فما هو التأويل؟ حتى لا تتعارض الروايات مع بعضها البعض، فعلى التسليم بأن الرواية صحيحة يكون التأويل كذا وكذا [ما سبق من حديث] وهو كلام راجح.

إذن من أين أتى الشذوذ؟ مخلد بن الحسين ليس له ذنب في الموضوع، بل تلميذه شيخ أبي يعلى وهو مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ، وذكره أبو الفتح الأزدي وقال: حدّث بأحاديث لا يُتابع عليها.

وذكره البيهقي فقال: "غير قوي". فهل هذا الراوي ضعيف أم لا؟ صحيح أن الخطيب البغدادي وثّقه في تاريخه حين ترجم له في الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد. لكن الخطيب وثّق، وثلاثة مقابل الخطيب جرحوه، فنحن لا يمكن أن نسلم له إذا خالف من هو أوثق منه فذكر شيئا لم يذكروه.

فإذن حدّث بأحاديث لم يتابع عليها- غير قوي- كما قال البيهقي وابن حبان قال بعد ذلك ربما أخطأ، فهذا مما أخطأ فيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي على مخلد بن الحسين، فمخلد ليس له ذنب، وإنما الذي أخطأ عليه هو تلميذه، فإذن الكلام الفصل في الموضوع أن هذه الرواية ضعيفة (كلهن في الله) رواية ضعيفة وعلي التسليم بصحتها، فالتأويل ما ذكرته قبل ذلك.

قلنا إن محمد بن سيرين روى عنه هذا الحديث ثلاثة، من؟ أيوب السختياني، وتكلمنا عن روايته، وهشام بن حسان، وتكلمنا عن روايته، بقي عبد الله بن عون.

وعبد الله بن عون هذا ثقة كبير المحل، وروايته وقعت عند النسائي في السنن الكبرى، رواها عن عبد الله بن عون (أظن) النضر بن شميل عن عبد الله بن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة <u>موقوفاً</u>، قال: لم يكذب إبراهيم الحديث وهذه وافقت رواية حماد بن زيد عن أبي أيوب عن ابن سيرين وهذا مما يدل دلالة قاطعة على أن الذي أوقف الحديث على أبي هريرة

هو محمد بن سيرين. فابن عون وافق أيوب في الرواية عن ابن سيرين في الرواية الموقوفة.
هذه هي طرق الحديث عن أبي هريرة. هل تفرد أبو هريرة برواية هذا الحديث عن كذبات إبراهيم عليه السلام؟ نبحث! وطبعا تفرد أبي هريرة لا ضير فيه عند أهل العلم.
قبل هذه النقطة.. بقي لدينا أمر، حديث الشفاعة الطويل (يجمع الله عز وجل المؤمنين يوم القيامة) هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة. ومسلم رواه من أكثر من طريق عن أبي زرعة الأول عن طريق أبي حيان عن أبي زرعة، فساق المتن بطوله، ثم أتى بعده مباشرة برواية عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة، فزاد فيها شيئاً رابعاً ينسب إلى كذبات إبراهيم عليه السلام. قال: وزاد في هذا الحديث الكوكب (لما قال هذا ربي) وحديث أبي هريرة الذي نتحدث فيه والذي أوله (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث) فلو وضعنا الكوكب يصبحن كم؟ أربعاً.
وهذه مشكلة تحتاج حلا أيضاً، فما الإشكال؟ لأن نفي الاستثناء يفيد الحصر، فانظر للجملة (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات) أين أداة الاستثناء في هذه الجملة؟ إلا منفية أم مثبتة؟ النافي (لم). يقول العلماء: إذا نُفي الاستثناء يكون ما بعد أداة الاستثناء يفيد الحصر (لا إله إلا الله) فالألوهية محصورة لله. فلم يكذب إبراهيم إلا ثلاث، إذن هي فقط انحصرت كذباته في ثلاث ولكن نحن لدينا الآن ذكر الكوكب، إذن أصبحن أربعاً، فما تأويلك لهذه الرواية، أ هي خطأ من بعض الرواة أم أن لها تأويلا؟ يقول العلماء: لا تلجأ إلى تخطئة الرواة إلا إذا عدلت عن التأويل، فما التأويل هنا يا ترى؟ هو أن يحمل نفي الاستثناء على أنه لا يفيد الحصر، القاعدة هنا يمكن أن تشذّ، شبيه بهذا الحديث حديث أبي هريرة الذي رواه في الصحيحين: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة) وقد ثبت في أحاديث أخرى أن هناك أكثر من هؤلاء الثلاثة تكلموا في المهد، فظاهر نفي الاستثناء غير مراد، وهذا له نظائر، إن ظاهر الاستثناء لا يفيد الحصر كما سنذكر الآن. فأول شيء الآن هو أن هذا الاستثناء لا يفيد الحصر لكن يقول قائل: هذه قاعدة، والقاعدة لا تُخرم، فنحن لا نسميها قاعدة إلا إذا كانت تحسب كل جزئيات أحداثها، ولكن هذا ليس شرطا فممكن إذا كان الخلل في جزأين اثنين أو ثلاثة تظل القاعدة قاعدة، مثال: حديث أبي

هريرة في المنتحر، لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه في البخاري ومسلم والترمذي وغيره قال: (من تردى من على جبل فهو يتردى فيه في جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً) انتبه للألفاظ فكلمة (أبدا) هذه معناها أنه لن يدخل الجنة أصلاً، لو قال: خالدا مخلدا فيه فقط، لقلنا خالدا الوقت الذي قدره الله لكن كلمة (أبدا) أي أبد الآبدين ودهر الداهرين كما يقال، إنه بهذه الكلمة اختلف الموضوع. الإمام الترمذي في السنن قال: هذا الخبر على غير ظاهره، فأبدا هذه لا يقصد بها المعنى الحرفي الذي وضعت له، صرفت (أبدا) هذه بدلالة أخبار أخرى وهذا سائر عند جماهير العلماء، لأن لفظ كلمة أبدا لا يعني المعنى الحرفي، أو الذي ينتهي الزمان فيه، فاللفظ هكذا لا ينخرم- أحياناً- بالاستعمال، بل الاستعمال قد يفيد مرة الخصوص، أو أن اللفظ ليس على إطلاقه..الخ. فما الذي صرفه؟ مثلا آيات وأحاديث، ومن أشرف الآيات- وهي داخلة في باب الوعد وليس في باب الحكم، والوعد لا يتخلف من الله، فإن الله إذا وعد لا يخلف الميعاد ولا يخلف الوعد- وهو قول الله عز وجل: {إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرِ مَا دُوْنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاْءُ} ولاشك أن الإنتحار دون ذلك، وقول الله: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوْا مِنْ رِحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا} وجميعا تفيد العموم، ويغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك، بدلالة الآية السابقة، فآيات الوعد، نقول إن أي ذنب ممكن أن يغفر، أما في السنة فحديث جابر بن عبد الله في صحيح مسلم، أن رجلين هاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أصابت أحدهما جراح فلم يصبر الآخر على هذه الجراح فقطع شراايينه بسكين، فظل يشخب دما حتى مات، وبعد أن مات رآه صاحبه في رؤيا حسنة، أنه في الجنة وشيء من هذا القبيل، ولكن مغطى يديه، فقال: ماهذا؟ ما فعل بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة بهجرتي لنبيّه، فقال: فلم أنت مغط يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت. فقصّ الرجل الرؤيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رسول الله يديه وقال: (اللهم وليديه فاغفر). ألم يدخل هذا الجنة؟ ألم ينتحر؟ إذن كلمة أبداً متروكة الظاهر أو تحمل على الغالب، فكما صرفنا (أبدا) بمثل هذه الأخبار نصرف نفي الاستثناء بخبر آخر، فليست محصورة في ثلاث بل (هذا ربي) داخلة في اللواتي لله سبحانه وتعالى، وخبر مخلد بن الحسين يمكن أن تستخدمه في هذا الموضوع (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات كلهن في الله) هي هذه الثلاث ثم استأنف ذكر سارة باستئناف بعيد جدا عن الثلاث (حكاية مختلفة).

من الممكن إذن أن تستخدم الخبر هكذا وسيكون له وجه من الوجوه. وإلا سيكون مردوداً.

فذكر الكوكب هذا سنسلك فيه عدة مسالك.

المسلك الأول: نرى للموضوع الأول تأويلا ولا نوهم الثقات، لأن مسلما روى هذا الحديث في جرير بن عبد الحميد عن عمارة بن القعقاع عن ابي زرعة عن أبي هريرة. الحافظ بن حجر العسقلاني رجح في فتح الباري أن ذكر الرابع هذا وهم من الراوي قال: يظهر أنه وهم من الراوي. ونحن نقول: نحن لا نجسر على التوهيم إلا إنْ انغلق أمامنا باب التأويل.

هناك أيضاً تأويل أحد العلماء، قال: إنما قال إبراهيم (هذا ربي) أيام طفولته، والمرء لا يؤاخذ أيام طفولته، لأنه لم يجر عليه القلم. واستبعد الحافظ بن حجر وقال: إن أكثر أهل العلم قالوا إن إبراهيم عليه السلام قال هذا ربي، أي إلزاما وتوبيخا للمشركين؛ لأنهم يعبدون الكواكب والنجوم وغيرها فكأنه يريد توبيخهم، فيقول هذا ربي. فحينما تريد توبيخ أحد مثلا تقول: تعال يا حبيبي، وهو كلما اقتربَ اقترب للضرب مثلا، فهل هو حبيبك؟ إنما قلتها أنت على سبيل التهكم، كأنما أراد أن يقول أهذا ربكم؟ إنه يغرب والإله لا يغيب فلا ينبغي أن يكون رباً وهي يغيب عن مربوبه، فأوردها على طريق الإثبات توبيخاً، وهذا ذهب إليه أكثر أهل العلم.

كنت قديما أقول إن إبراهيم عليه السلام قال: هذا ربي. أي أثر ربي أو مثال ربي في الكون، كنت أقول هذا الكلام حين كنت صغيراً، فلما كبرت وشبت قليلا وراجعت أقوال العلماء وتدبرتها علمت أن هذا القول [ما قلته في صغري] فيه تجوّز، فمن سمعه فليضرب عليه.

إنما قال إبراهيم ذلك كما قال أهل العلم توبيخاً أي أثبت الكلام في باب التوبيخ والاستنكار على هؤلاء المشركين، وآخر شيء سنسلكه هو توهيم الراوي فكيف إذا كان ثقة ثبتاً؟ وطبعا حتى نوهم الراوي يجب علينا أن نجمع طرق حديث أبي هريرة مرة أخرى، لنر أ تفرد عمارة بن القعقاع في هذا اللفظ عن سائر الرواة عن أبي زرعة أم لا؟ هذا البحث لم أقم به، أي

أحتاج إلي بحث خاص، بعد أن أقوم بهذا البحث الخاص أستطيع أن أقول لك إذا كان واهما أو غير واهم.

وبعد الكلام عن حديث أبي هريرة نريد أن نرى هل تفرد أبو هريرة بهذا الحديث أم أن هناك صحابة آخرون رووا هذا الحديث؟ فنظرنا فإذا الإمام النسائي رحمه الله الوارد في سننه الكبرى في كتاب التفسير من السنن الكبرى بسند جيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذكر حديث الشفاعة الطويل وذكر فيه أن نوحاً قال: لكن ائتوا إبراهيم، فلما أتوا إبراهيم قال: نفسي نفسي، إني كذبت ثلاث كذبات، ثم ساق الثلاث: (إني سقيم- بل فعله كبيرهم هذا- هذه أختي) ولكن اذهبوا إلى موسى و ساق شيئا من هذا المعنى، فوجدنا أيضا أن الترمذي رحمه الله وأبا يعلى رويا من حديث أبي سعيد الخدري هذا الحديث: 0لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات) ورورياه كلاهما عن طريق سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، ووجدنا نفس هذا المعنى في أحاديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد رحمه الله.

وبعد أن تكلمنا الآن في الأسانيد فما تأويل الكلام؟ حين يقول الفخر الرازي (إما أن نكذب إبراهيم، أو نكذب الرواة) أريد أن أعرف الرواة الذين قال الفخر الرازي إنهم مجاهيل، فالفخر الرازي ماذا يقول بالضبط؟ يقول: ولا شك أن قول إبراهيم عليه السلام لم يكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل. أريد أن أعرف من المجهول في هذه الأسانيد، أ أبو هريرة؟ أم الأعرج؟ أم أبو الزناد؟ أم شعيب بن أبي حمزة؟ أم أبو اليمان؟ أ ليس هذا إسناد البخاري؟ والنسائي روى هذا الحديث عن علي بن عياش عن شعيب بن أبي حمزة. الإمام أحمد روى عن ورقاء عن أبي الزناد. من المجهول في هؤلاء؟ هؤلاء كلهم أئمة ثقات معتبرون، رواياتهم تملأ الكتب.

من المجهول في السند الثاني؟ أبو هريرة؟ أم محمد بن سيرين؟ أم أيوب السختياني؟ أين المجاهيل؟ أبو هريرة كما عند البخاري؟ أم أبو سلمة بن عبد الرحمن؟ أم الأعرج؟

فهذا خبط عشواء؛ فالمجهول عند أهل الحديث على قسمين، مجهول الحال- مجهول العين. مجهول العين: من لم يرو عنه إلا واحد فقط أو مجهول العدالة- كلاهما واحد. أما مجهول الحال: وهو الذي نعرفه ولكن لا نعرف أن له توثيق معتبر، أو ليس له توثيق. ارتفعت جهالة عينه برواية اثنين أو ثلاثة أو أربعة، لكن بقيت جهالة حاله، من الذي زكّاه؟ أو زكّاه عالم متساهل مثل ابن حبان مثلا أو العجلي.. فيقال مجهول الحال- أو مستور.. الخ.

فهل هذا التعريف ينطبق -سواء في حالة جهالة العدالة أو جهالة الحال- على واحد من الذين ذكرتهم؟ فكيف يقول الفخر الرازي مجاهيل؟ مما يدل على أنه لا يعرف ما معنى (مجهول).

نحن نقول: الكذب هنا هو كم لجأ الفخر الرازي في المئات من كتبه إلى التأويل الذي هو أوهى من الذي سأذكره بكثير، حتى يوفق بين حديثين يلجأ إلى التأويل، فلماذا لم يلجأ إلى التأويل في هذا الحديث والتأويل سبقه علماء كثيرون إليه؟ ليس الفخر الرازي هو أول من وضع يده على الحديث بل سبقه ألوف من العلماء لماذا أعرض في هذا الموضع عن تأويل كل العلماء وضبط هكذا؟

الكذب المقصود هنا إنما يصير كذبا باعتبار ما وقع في أذن المستمع فقط، إنما المتكلم لا يكون في حقه كذبا وهذا ما يسميه العلماء بالمعاريض لاسيما في (هذه أختي) قال (فإني لا أعلم أحداً يعبد الله في الأرض غيري وغيرك) فقد بين لنا وعرف ماذا يقصد بكلمة (أختي).

البخاري أورد هذا الحديث في كتاب الإكراه، وأورده في كتاب النكاح، فلماذا أورده في كتاب الإكراه؟ ماذا كان يريد منه البخاري؟ معروف أنه يُكره أن يقول الرجل لامرأته (أو يناديها) بذوات محارمه، يعني لا تقل لامرأتك مثلا (يا ماما).

لو أن الرجل فعل ذلك عمدا، أليس يكون ظهاراً؟ فلو ناداها بذات محارمه ولا يعني ذلك المعنى أيقع ظهاراً؟ هذا أحد المعاني التي استنبطها البخاري من الحديث، لأنه حين قال: (هذه أختي) لا تكون كرجل قالها عامداً، فإذا قالها عامداً يمكن أن تقع عليه

ظهاراً لكن حين لم يقلها عامداً (فالمسألة داخلة في النية).

لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، الكذب هنا ما يقع في أذن المستمع، لا ما يقصده المتكلم، فهو كذب باعتبار، وصدق باعتبار آخر.

لنر المواضع الثلاثة هذه، أوقعت كذبا في أذن المستمع أم عند المتكلم؟ نأتي على الأولى: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِيْ النُّجُوْمِ فَقَالَ إِنِّيْ سَقِيْمٌ} أي أنا مريض. أكان مريضاً حقاً؟ لا. بعض العلماء يقولون إن الحمى كانت تأتي إبراهيم على فترات، فكان في هذا اليوم محموماً. طبعاً هذا الكلام بعيد، لماذا؟ لأنه لو كان مريضاً لم يكن هذا كذباً لا تصريحاً ولا تلميحاً. والحديث هنا (لم يكذب إلا ثلاث كذبات) فالمفترض إذن أن هذه ليست كذبات، فلو كان مريضاً حقيقة لم يكن هذا كذباً فلا يدخل في الكلام، لكن قال (إني سقيم) لأنهم يريدون أخذه عند الآلهة وهو لا يريد الذهاب إلى المحفل الشركي، فيريد التخلف عنهم، وذلك كان قبل أن يجهر بالإنكار عليهم، فلم يكن يريد الذهاب، أي كأن المسألة كانت مسألة تدرج، قال العلماء: كثيرا ما يستعمل اسم الفاعل لما يقع مستقبلا، فإني سقيم، أي: سأسقم.. أو سأمرض. وهي إن كانت قد وردت على [صيغة] اسم الفاعل، فهو يعني ما ستكون عليه في المستقبل.

الشيء الثاني: (إني سقيم) أي بالموت، فمن يعرّض يقصد أي معنى عنه، لا نقول له لماذا أتيت بهذا المعنى؟ فهو حرّ، يقصد أي معنى، فحين يقول لك أحد: تعال كل. قلت إني صائم، ممكن أن يكون صائما عن طعامك خصوصاً، صائم عن اللغو والرفث، صائم عن أي شيء، لكن هي عندك لها تأويل ووقعت كذبا عن المستمع، ونحن بحثنا في المستمع وليس في المتكلم. لم يكذب إلا ثلاث كذبات، أي لم يقل قولا وقع كذبا في أذن المستمع إلا ثلاثا. هذا تأويل الكلام. فإما (سأسقم) أو (سأموت بالسقم مثلا) أو (إني سقيم عن حُجّتكم).

الموضع الثاني: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَذَاْ فَاْسْأَلُوْهُمْ إِنْ كَاْنُوْاْ يَنْطِقُوْنَ} إن المسألة- هنا- فيها شرط وجزاء، فهو علّق واحدة على أخرى (أي إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم فحيث إنهم لا ينطقون فلم يفعله كبيرهم) فعلق الاثنين ببعضهما البعض.
المسألة مربوطة بـ (إن كانوا ينطقون) المسألة تريد أحداً يفهم، وقوم إبراهيم لم يكونوا يفهمون.

بعض الناس نسب للكسائي قال: (إنه وقف على قوله فعله) أي في القراءة قرأ (بل فعله) ثم وقف، فالكلام له تتمة، ففعله كائنا من كان، هذا هو التأويل. فيبدأ القراءة بـ (كبيرهم هذا) ثم يقف، ثم (إن كانوا ينطقون) طبعا هذا الكلام لا يخفى تكلفه، فمسألة الوقف والوصل هذه مسألة تابعة للمعاني، لهذا يضع لك في المصحف علامة الوقف اللازم، أي يجب أن تقف هنا، لأنك لو وصلت لغيرتَ المعنى، فمسألة الوقف هذه إنما هي خاضعة للمعاني، نحن نقف في الأصل على المعاني.

أي إشكال في هذا الحديث؟ حتى يقول الفخر الرازي إما [أن يكون] إبراهيم عليه السلام كذاب، أو الرواة كذابون، وحاشا أن يكذب إبراهيم فهم الكذابون؟ من يقول هذا الكلام؟ ولم يتعب نفسه؟ كثير من المتكلمين لا يتعب نفسه بالتأويل. أسهل شيء عنده أن يقول لك: الرواة غلطوا. فأنت حتى تجزم بغلط راو يجب أن تقوم بالبحث الذي فعلته اليوم، تنظر في الرواة وتنظر في ترجمة كل راو على حدة، ثم توازن بين الرواة، هذا أكبر من هذا، هذا له خصوصية على هذا.. موضوع كبير وليست مسألة سهلة، وفي النهاية تخرج النتيجة إذا كان هذا الحديث شاذا أو منكرا أو يمكن تأويله.. الخ.

فعلم الحديث علم جليل بُنيت عليه شريعتنا كلها، لهذا يقول العلماء: علم الحديث خادم وبقية العلوم مخدومة، والخادم هو الذي له ميزة، فلو أن ملكاً لا يعرف أن يفعل شيئا، يحضر خادما ليفعل ما يحتاجه أم لا؟ الخادم هذا إذا غاب، ماذا يفعل؟ فهو بالخادم أم لا؟ هو بالخادم.

فعلم الحديث علم خادم، بمعنى أن كل العلوم تحتاج إليه، وهو لا يحتاج إلى أي علم من العلوم.

أنا رجل فقيه، أشتغل بالفقه، والفقيه رأس ماله الأدلة، والأدلة كما قلنا الكتاب والسنة، الكتاب والحمد لله في أعلى درجات التواتر، تبقى السنة التي فيها ألوف الأحاديث، قبل أن يشتغل الفقيه، وقبل أن يصدر حديثا شرعيا باللفظ يقول: أيها المحدث! هل هذا اللفظ الذي سآخذ منه الحكم الشرعي ثابت أم لا؟ يقول: قف. ثم يبدأ المحدث يشتغل، يحضر الطرق

والرواة، وفي الآخر يقول له: امض على بركة الله واستنبط فقد ثبت اللفظ، فإذا قال له: لا، بعد الشغل الذي اشتغله، يقول له: لا، هذا اللفظ منكر. فلا يجوز للفقيه أن يأخذ منه حكما، وهذا ما أخل به جماهير الفقهاء، حيث وجد أي رواية يأخذها ويخصص بها العام، ويقيد بها المطلق، ويشتغل بها، واللفظ منكر عند علماء الحديث، فلو أنه التفت إلى المحدث وأخذ رأيه فقال: هذا منكر فأسقطه، كان أراحنا من التأويلات. ففي النهاية لا يستطيع الفقيه أن يتحرك إلا أن يقول له المحدث صح أو خطأ.

التفسير: نأخذه بالأسانيد، قال ابن عباس كذا، طيب ابن عباس له خمسة أسانيد، اثنان منهما مقبولا، وثلاثة مردودة، وواحد من الثلاثة يمكن تسليكه، ولكنه إلى الضعف أقرب. فحين تقول: قال ابن عباس، هل تعلم أنقل هذا الكلام بالسند الصحيح أم بالسند الضعيف؟ لا تعرف، إذن التفت للمحدث فقل: حقق هذا القول لابن عباس والنظر هل الإسناد هنا لابن عباس مقبول أم مردود، قال: مقبول. انطلق أو مرود توقف، فإذن احتجت المحدث أم لا؟

العقيدة: تأتي عن طريق السنة كالفقه بالضبط. فقبل أن أنسب لله عز وجل صفة من الصفات التي لم تأت في الكتاب، مثل (حيي) و (ستير)، فهذا حديث في النسائي: (إن الله حيي ستير، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر) فلا يأتي أحد يقول: يا ستار يارب. فالستار ليس اسما لله أصلا، فلا ينفع نسبتها إلى الله تعالى، ومن اسمه (عبد الستار) فليغير اسمه، فينادونه باسم آخر عبد الستير مثلا.. فلا أستطيع أن أنسب لله سبحانه وتعالى اسماً ليس له (إن الله جميل يحب الجمال) فجميل صفة من صفات الله عز وجل، من أين جاءتنا؟ في حديث في صحيح مسلم. فقبل أن أنسب إلى الله عز وجل صفة من صفاته لابد أن أتحقق من هذه الصفة، فمن يحققها ويقول صحيحة أو ضعيفة؟ المحدث. فكل واحد صاحب علم من العلوم يلفت إلى المحدث ويسأله أم لا؟ فهو خادم للكل أم لا؟

فعلم الحديث هذا علم خادم، علم جميل خادم، فلكي تتقن هذا العلم تحتاج إلى دربة وإلى ممارسة وإلى تعب طويل لأن جمع الأسانيد من الكتب أسهل

منه نقل الجبل من مكانه، فلو قلت لك: انقل الجبل إلى المكان الفلاني، كالأعمال الشاقة، كل واحد محكوم عليه بالأشغال الشاقة يخرجونه ويربطون في رجله 20 ك حديد حتى لا يهرب ويأتيه بفأس ويخرج إلى الجبال، فهي شاقة لماذا؟ لأنه يعمل طوال النهار في تقطيع الجبل، فأنت حين تقطع الجبل جزءاً جزءا أسهل من أنك تجمع طرق حديث من بطون الكتب.

فحتى تلم الأسانيد هذه من كتب هي بالألوف المؤلفة، ترى! عندك من الألوف المؤلفة كم ألف؟ كم مئة؟ كم عشرة منها؟ ما غاب عنك من الكتب فيها أسانيد بقدر ماذا؟ وإذا ظفرت بها، هل تستطيع أن تعمل فهرساً جامعا لكل الأحاديث الواردة في هذه الكتب، بحيث إذا أردت أن تحقق حديثاً تستحضر كل أسانيد هذا الحديث في كل هذه الكتب؟

هل تحسون بصعوبة المسألة؟ صعبة جدا، فالحديث يحتاج إلى همة عالية، همة منطلقة لا يقف أمامها شيء.

فأنا بهذا الكلام لا أصعب المسألة عليكم، هي صعبة فعلا، وليست سهلة، وأنا لست مبالغا فيما أقول، لكن ما الذي يخفف عليك هذه المسألة؟ الحب. إذا أحببت هذا العلم، وعلمت أن بقاء هذا الدين. بتجويد هذا العلم وأن الثغور كلها فارغة إلا من أفراد قلائل واقفون على الحدود حتى يحموا الإسلام من الدخلاء، فهذه الحدود الواسعة جدا عليها 10-15 (مع أن المفترض أن يكونوا 15000 مثلا).. هؤلاء يقاتلون في هذه المساحة الطويلة العريضة والجماهير لا تشعر بهم، ولو مات هؤلاء واندثروا لخطبت الزنادقة على المنابر، الذين يطعنون على السنة وعلى الحديث ويشتمون الرواة من يقف لهم؟ من يبين للمسلمين حديثا مثل هذا؟ فأحد جماعة هذا العصر لا يعلو الفخر الرازي، يعني لو نوازنه بالفخر الرازي لا يزن مسماراً في نعل الفخر الرازي ونحن اليوم نرد على من؟ على الفخر الرازي، الذين هم يزنون مسمارا في نعله، هم بالألوف في بلاد المسلمين.

الذين يرمون على هذه الشريعة الغراء من يقف لهم؟ لا يقف لهم إلا أناس نابهون، أوقفوا حياتهم عليه وتركوا لذات الناس ورضوا بهذا الذل وتركوا متاع

الدنيا حتى يصطفوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في الذابين عن سنته، فالمحدثون هؤلاء ليسوا مشاهير. فلو كنتُ أشتغل بعلم الحديث لم يكن أحد ليعرفني، أنا لم أعرف إلا حين خطبت على المنبر، وإنما ألقيت على الناس الدروس العامة، وإلا لو امتهنت مهنتي الأولى التي ابتدأت طلب العلم بها، ألا وهو على الحديث، لم يكن أحد منكم سمع عني، وكان من الممكن أن أعيش 90 سنة وأموت ولا يشعر بي أحد، وإذا خرجت في الناس ولا قيمة لي، وكم من فضلاء من إخواننا ممن نعرفهم، كالشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، وهذا أحد إخواننا الفضلاء وأحد الأفراد في هذا العلم، ومع ذلك لا يسمع به أحد إطلاقا مع ما أعرفه عنه من الزهد ومن العبادة ومن الإقبال على الله، وأنا أقدمه على نفسي في هذا العلم، الشيخ محمد عمرو لماذا لم يكن معروفاً؟ لماذا لم يأخذ قيمته ومكانته؟ الذهب المدفون في باطن الأرض ليس له قيمة إلا أن يعرض على النار، ثم على الناس بعد تشكيله.

هؤلاء المفروض أن يحملوا على كفوف الراحة لأن ليس هناك من يقف على ثغر إلا هؤلاء، فأنا أشحذ الهمم، فالطالب الجاد، أقول له: امض في طريقك، فما سيطيل نفسك في الموضوع النظر إلى الفائدة العظيمة التي تعود على المسلمين جميعا بفعلك، فأنت محتاج إلى استثمار كل ثانية من عمرك وليس كل دقيقة فحسب. بدل الجلسات مع الأخوة التي هي تضيع العمر، فالبعض يجلسون ويتكلمون في كل القضايا وكلهم جهلة، فلا درسوا ولا عملوا.. يخبطون في بعضهم البعض، ويقضون الليلتين والثلاث ويقولون نقاش علم، وكله نقاش لا قيمة له.

فأنا أقول للطلبة النابهين هؤلاء احتفظوا بأعماركم وأوقاتكم، فنحن نحتاجكم، فعلم الحديث هذا علم جليل إنما أدرسه لهذا المعنى، والمرات القادمة إن شاء الله وكان لنا لقاء في كل مرة من المرات ستقف على حديثفي الصحيحين (....) ونتخذ هذا سلاحاً في الردّ على أعداء الله، فإذا قال أحد هذا الحديث أمام أحدكم وقد استوعب بحثي السابق فأنا أعطيته إذن السلاح من خلال ردنا على بعض الأحاديث

لأننا لا نستطيع أن نرد على كل الأحاديث المتكلم عليها في الصحيحن وإلا فإننا سنغيب 20 سنة نتكلم، لكن سأذكر إن شاء الله 10-15 حديث في عشر محاضرات أو نحوها كنموذج، ثم في النهاية يمكن أن تظهر بضوابط عامة من خلال هذه الردود تضعها أمامك كدليل على ما غاب عنك من الأحاديث المتكلم فيها في الصحيحين.

(الأسئلة تؤجل للمرة القادمة لأن الوقت أدركنا)